على هامش الحرب

الطابور الخامس فى القرآن

للأستاذ عبد الرزاق ابراهيم حميدة

— ٣ —

أهل الكتاب

أعمالهم والحرب معهم : إجلاء بنى قينقاع وبنى النضير .
انتقاض بنى قريظة فى غزوة الخندق . غزو خيبر

نتحدث اليوم عن عداوة اليهود المسلحة بعد دسائسهم وكيدهم للرسول ولدينه ولأصحابه فى أوقات السلم :

كان من أول ما فعله الرسول بالمدينة أن عاهد اليهود ، وأقرهم على دينهم وأموالهم . ومن عهده لهم كما تقدم : وإن من تبعنا من يهود فله النصر والأسوة ، غير مظلومين ولا متناصر عليهم ، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ، وإن بينهم النصر على من دهم يثرب ، وما كان بينهم من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله ورسوله .

غير أن هذا العهد الذى يوحد بينهم فى السلم والحرب ، ويقضى عليهم بالتناصر وبالعيش معاً فى أمن وراحة ، لم يكن مرعيًّا إلا من جانب محمد . أما اليهود فلم يرعوه إلا مضطرين ؛ فإذا سنحت فرصة تحللوا منه ، ورأوا نقضه فرضاً عليهم « ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيلٌ » ومن أمثلة تسترهم على

فى الضباب كل صباح ، فلما كان ذات يوم مُضبٍّ رأى فى طريقه عن بعد شبحاً يروع منظره ، وكان كلما اقترب منه تضاءل هذا الشبح حتى إذا ما التقى به لم يكن غير إنسان عادى ، عرف فى وجهه أحد معارفه !!

ولقد مشيت وسط هذا الضباب وبين حديث الفلسفات إلى مسرحية « مفرق الطريق » ، فلما دنوت منها وتبينت سماتها واستظهرت دقائقها ، لم أجد شيئاً يروع ويعجب ، وإنما رأيت شيئاً عادياً كالذى رآه ذلك الإنجليزى .

١٦ ١٥ (ناقد أديب)

المغيرين ونقضهم بذلك عهدهم للرسول أن أبا سفيان كان قد حلف بعد هزيمة قريش فى بدر ألا يمس طيباً حتى يغزو محمداً ، ثم خرج لذلك فى مائتى راكب من قريش يود لو يصيب من المسلمين دماً أو مغنماً ، ونزل على بنى النضير المعاهدين لرسول الله ؛ وعرفوا غايته ، وكان الواجب يقضى عليهم أن يخبروا محمداً بذلك ، ولكنهم لم يفعلوا . وسار أبو سفيان حتى نزل ناحية يقال لها « العريض » فحرق نخلها وقتل اثنين من الأنصار ، وأحس المسلمون بأمر أبى سفيان فخرجوا للقائه فمر فتعقبوه ، فألقى هو ومن معه زادهم فى الطريق ، وكان من السويق فسميت الغزوة غزوة السويق

بنو قينقاع

ثم إن يهود بنى قينقاع — وهم أول من جاهر بنقض العهد من اليهود — أظهروا ما خفى فى نفوسهم بعد بدر ، وهددوا الرسول ، فحاصرهم خمس عشرة ليلة ، نزلوا فى آخرها على حكم حليفهم عبد الله بن أبى ، فحكم أن يجلوا عن المدينة ، فخرجوا منها إلى أذرعات بالشام

بنو النضير

ثم جاء دور بنى النضير ، فإن النبى ذهب إليهم يستقرضهم دية قتيلين مسلمين قتلهما عمرو بن أمية الضمرى وهو يحسبهما مشركين ، فأظهروا حسن استعدادهم لإجابة طلبه . ولكنهم ائتمروا به ليقتلوه ، وعمد عمرو بن جحاش إلى رحى عظيمة ، وأراد أن يلقيها على رأس النبى من أعلى الجدار الذى كان مستنداً إليه ، فأمسك الله يده ، وأخبر رسوله بكيدهم وسلطه عليهم ، وفى ذلك يقول الله : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ همَّ قومٌ أن يبسطوا إليكم أيديَهم فكَفَّ أيديَهم عنكم »

ويقال إنهم كانوا صالحوا النبى صلى الله عليه وسلم على ألا يكونوا عليه ولا له ، فلما ظهر المسلمون فى بدر قالوا هو الرسول الذى نعته فى التوراة ؛ فلما هُزم المسلمون فى « أحد » ارتاب اليهود ونكثوا عهدهم ، وخرج كعب بن الأشرف فى أربعين راكباً إلى مكة فحالفوا عليه قريشاً ، وتلك محالفة تجعلهم خطراً عظيماً على المسلمين لأنهم من المدينة ، وفى استطاعتهم التجسس لقريش على المسلمين ، وإرشادهم إلى مواطن الضعف

فى الجيش الإسلامى ، وأحسن الأوقات للهجوم ، وغير ذلك من أعمال الطابور الخامس

عرف النبى الكريم بأمر هؤلاء القوم ونياتهم ، وسلطه الله عليهم فصبحهم بالكتائب ودعاهم إلى الخروج من المدينة ، فقالوا : الموت أحب إلينا . وتنادوا بالحرب ، فحاصرهم النبى ؛ ويقال إنهم استمهلوه عشرة أيام يتجهزون فيها للخروج ، وفى تلك الفترة أرسل إليهم المنافقون أنهم ناصروهم إن قاتلهم المسلمون ، وأنهم سيخرجون معهم إن أخرجوا . فتحصنوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله ، ولكن الحصار اشتد عليهم ، وقعد المنافقون عن نصرتهم وقذف الله الرعب فى قلوبهم ؛ وطلبوا الصلح ، فأبى الرسول إلا الجلاء ، فجلوا إلى الشام : إلى أريحا وأذرعات ، وجلا آل حيى بن أخطب إلى خيبر

ونزل فى هذا الجلاء والفىء الذى ظفر به المسلمون ، والمنافقين الذين غروا اليهود أكثر سورة الحشر : « هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ، ما ظننتم أن يخرجوا ، وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله . فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ، وقذف فى قلوبهم الرعب . يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين فاعتبروا يا أولى الأبصار » . ثم بين سبب ماحل بهم وما أعده لهم من عذاب النار فقال : « ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فإن الله شديد العقاب »

أما المنافقون الذين وعدوا اليهود النصر فحديثهم فى هذه السورة قوله تعالى : « ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ، ولا نطيع فيكم أحداً أبداً ، وإن قوتلتم لننصرنكم ، والله يشهد إنهم لكاذبون . لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ، ولئن نصروهم ليولن الأدبار » ثم بين خذلانهم لهم فقال : « كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر ، فلما كفر قال إنى برىء منك إنى أخاف الله رب العالمين . فكان عاقبتهما أنهما فى النار خالدين فيها ، وذلك جزاء الظالمين »

الأحزاب

لم يترك اليهود فكرة الانتقام من محمد لحظة واحدة ، وقد هداهم تفكيرهم إلى أن خير وسيلة للانتقام منه هى تحزيب الأحزاب عليه واستئصاله هو ومن معه من المسلمين ، فخرج بعض من نزل خيبر من بنى النضير إلى مكة ، وحالفوا قريشاً عليه ، ودعوهم إلى حربه ؛ فقالت قريش : يا معشر يهود ، أنتم أهل الكتاب ، وأنتم أقرب إلى محمد منا ، وهو أقرب منكم إلينا ، فلا نأمن مكركم ، فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن إليكم ، ففعلوا . فقال أبو سفيان : أنحن أهدى سبيلاً أم محمد ؟ فقالت اليهود : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أهدى وأولى بالحق منه . وذلك افتراء على محمد وكذب على الله وعلى التوراة ، ولكن الحقد أضلهم أو لعلهم رأوا الغاية التى يرجونها ، وهى استئصال المسلمين ، تبرر الوسيلة ، ولو كانت الكفر بكتابهم ودينهم

ثم ساروا إلى غطفان فأعدوها لحرب النبى ، وخرجت قريش وغطفان يريدون المدينة ؛ فلما علم النبى بخبرهم استشار أصحابه فى الوسيلة التى يتقى بها تلك الأحزاب العظيمة والجموع المحشودة لاستئصاله . فأشار عليه سلمان أن يحفر خندقاً فى الناحية المخوفة من المدينة ، فقبل ولم يكن للعرب عهد به ؛ فلما وصلوا حجز بينهم الخندق . ولكن هل اكتفى اليهود بتلك الجموع وحدها ؟ إن لهم فى المدينة إخواناً فى الدين يصح استغلالهم ليكون خطرهم على المؤمنين شديداً ، أولئك هم بنو قريظة

بنو قريظة

ذهب حيى بن أخطب إلى سعد بن كعب سيد بنى قريظة ، وصاحب عهدهم ، وكان بين سعد وبين النبى عهد أن ينصره إذا حورب كما تقدم ، وأن يكون معه على من دهم يثرب ، فأغلق سعد بن كعب الباب دون حيى ، ولكنه استجاب أخيراً لدعوته ، ونقض عهده ، وانضم إلى الأحزاب ، وسمع النبى بذلك فأرسل سعد بن معاذ سيد الأوس وحليف بنى قريظة وأرسل معه سعد ابن عبادة سيد الخزرج ليعلما له صدق الخبر ، وكان أمر بنى قريظة يهمه أكثر مما يهمه أمر الأحزاب ، لأن بنى قريظة فى بلده لا يفصل بينه وبينهم خندق ولا غيره ، وخيانتهم فى هذا الوقت الحرج تؤثر أثراً بالغاً فى جيشه

ولما بلغ الرسولان بنى قريظة وجداهم على أخبث حال من الغدر والخيانة ، قالوا من رسول الله بالسنتهم ونقضوا عهدهم ،

وقالوا لا عهد بيننا وبين محمد . فشاتمهم سعد بن معاذ ؛ فقال له سعد بن عبادة : إن ما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة . ثم عادا إلى رسول الله وأخبراه بما عليه القوم فعظم البلاء على المسلمين ، واشتد الخوف ، وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم ، وزلزل المؤمنون زلزالاً شديدا

وأقام المسلمون على ذلك الحال من الخوف والحذر بضعا وعشرين ليلة ، ثم قيض الله لهم نعيم ابن مسعود الأشجعي فجاء النبي مسلماً ، وقال له إني أريد مساعدتك وإني رجل واحد ؛ فقال له الرسول : خذّل عنا ما استطعت فإن الحرب خدعة ، فاستطاع بحسن حيلته وتدبيره أن يوقع الفرقة بين الأحزاب . وأرسل الله على هؤلاء ريحاً اقتلعت خيامهم ، فعادوا إلى بلادهم من غير حرب ، وفي ذلك كله يقول الله تعالى في سورة الأحزاب : « يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها ، وكان الله بما تعملون بصيرا ، إذ جاءوكم من فوقكم » وهم بنو قريظة ، « ومن أسفل منكم » وهم الأحزاب ، « وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر ، وتظنون بالله الظنونا . هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً »

أليس عمل بني قريظة من أخبث الغدر ، وأخطر الأعمال ؟ وأي فرق بينهم وبين جماعة النازي من الطابور الخامس في تشكوسلوفاكيا وهولندا والنرويج ؟ وماذا يكون جزاؤهم من الرسول بعد أن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم ، وأعانوا العدو على حليفهم في أشد الأوقات حرجاً ؟ لا بد من التخلص منهم سريعاً . ولهذا أمر الرسول المسلمين بعد انصراف الأحزاب ألا يصلوا العصر إلا في بني قريظة . وذهب إليهم وحاصرهم خمساً وعشرين ليلة ، حتى جهدهم الحصار ، وقذف الله الرعب في قلوبهم وطلبوا الصلح ، فقال رسول الله : تنزلون على حكمي ؟ فطلبوا أن يحكم فيهم حليفهم « سعد بن معاذ » سيد الأوس ، فحكم بقتل رجالهم ، وسبي نسائهم وذراريهم ، ثم نفذ القتل في سوق من أسواق المدينة . وفي طائفة بني قريظة يقول الله في سورة الأحزاب : « وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم ، وقذف في قلوبهم الرعب ، فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً ، وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطئوها ، وكان الله على كل شيء قديرا »

لم يبق من أهل الكتاب — اليهود — إلا أهل خيبر ، فرأى الرسول أن يأخذ بالأحوط وأن يستريح منهم بقوة السلاح . فسار إليهم بعد صلح الحديبية ونزل بساحتهم وحاصرهم فامتنعوا بحصونهم ، فشدد المسلمون عليهم الحصار حتى استولوا على حصونهم واحداً بعد الآخر ، وطلبوا الصلح ، فصالحهم على نصف ما تغله أرضهم على أن تبقى في أيديهم ، وللمسلمين أن يخرجوهم منها إذا شاءوا . ثم صالح أهل فدك على مثل ما صالح عليه أهل خيبر

من هذا نرى أن جماعة الطابور الخامس من أهل الكتاب هم اليهود ، وقد قدمنا عملهم في السلم في المقال السابق ، أما عملهم في الحرب فهو — كما في هذا المقال — أنهم كانوا ينقضون العهود في أشد الأوقات حرجاً ، ويخونون الله ورسوله عندما يكون المسلمون في أشد الاطمئنان إليهم ، وفي أعظم الحاجة إلى نصرتهم أو حيادهم ، وأنهم دبروا قتل النبي في حين أمنه إليهم وثقته بعهودهم

بقي من الطابور الخامس في القرآن المنافقون وحديثنا عنهم قريب إن شاء الله .

(القاهرة) عبد الرزاق ابراهيم عيسى

وحي المـــوت

بحث فيما بعد الموت : للأستاذ محمود فراهد الحمامي

كتاب قيم يبحث في : حقيقة الموت والخوف منه ، هل الانسان هو الهيكل المحسوس . أدلة وجود الروح ومعانيها وتعلقها بالبدن ومختلف النظريات عنها وماهيتها وهل هي محدثة أم قديمة وأسبقيتها على الجسم وأدلة بقائها ، مناجاة الأرواح في المنام واستحضارها وتمايزهـا ورسائلها ومستقرها ، الحيـاة البرزخية وكيفية النعم والعذاب في القبر ، يوم القيامة ونفخة الصور والصراط والحساب والميزان ، سبيل النجاة ومداواة النفوس ، نعيم الجنة ، إلى الرفيق الأعلى الخ . . .

والكتاب في ٤٠٠ صفحه وثمنه ١٠ قروش وأجرة البريد ٣

ويطلب من مكتبة الجامعة بشارع محمد علي بمصر